الاستثناء بـ « لما »

محمد حسين نجم
كلية الاداب / قسم اللغة العربية

من اللافت للنظر في موضوع الاستثناء أن بعض الدارسين القدامى يعدون «لما» ضمن ادوات الاستثناء ويتناولونها في هذا الباب ، فهل ترد «لما» بمعنى «إلاّ» ؟ وهل يحق لنا ان نقول : حضر الطلاب لمَا زيداً ، ورأيت الطلابَ لما زيداً ، ومررت بالطلاب لَما زيداً بمعنى إلاّ زيداً ؟ وإنْ كان هذا جائزاً فلمَ لم يشع في اساليب الكلام ؟ .

للاجابة على هذه التساؤلات كان عليَّ أنْ اقوم بجولة واسعة في كتب النحو واللغة والتفسير ، وآثرت ان ابدأ بكتب معاني الحروف فهي بحكم تخصصها اقرب إلى معالجة «لما» من غيرها .

و «لمّا» عند المرادي (ت ٧٤٩هـ) وابن هشام (ت ٧٦٢هـ) ترد لثلاثة معان (١) :

الاول : ان تكون حرف نفي وجزم وقلب ، فتختص بالمضارع وتجزمه وتقلب زمنه إلى المضي ، كـ «لم» الا انها تفارقها في ان منفيها مستمر نفيه إلى الحال ، كقول الشاعر (٢)

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فآدركني ولمّا أُمَـــزّقِ

وكقولك : حضر زيد ولما تشرق الشمس .

الثاني : ان تكون حرف وجود لوجود ، فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود اولاهما ، نحو : لما جاءني اكرمته ، وزعم ابن السراج وتبعه

(١) ينظر الجنى الداني للمرادي : ٥٣٧ – ٥٣٨ ، ومغني اللبيب لابن هشام : ١/٢٨١ – ٢٨٢
(٢) البيت منسوب الى الممزق العبدي ، شأس نهار بن الأسود . (شرح شواهد المغني : ٢/٦٨٠)

ابو علي الفارسي وابن جني وجماعة آخرون انها ظرف بمعنى حين ، وقال ابن مالك بمعنى إذْ .

والثالث — ان تكون حرف استثناء بمعنى «الا» في موضعين :

احدهما — بعد القسم نحو ، نشدتك بالله لما فعلت ، و «عزمت عليك لما ضربتَ كاتبك سوطاً» (٣) ، قال الراجز (٤) :

قالت لـه بالله ياذا البردين لما غَنِثْتَ نفساً او اثنين

وثانيهما — بعد «إنْ» النافية ، ومنه قراءة عاصم (٥) وحمزة (٦) : «وإنْ كل لمّا جمع لدينا محضرون» (٧) «وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا» (٨) ، اي ما كل الا جميع لدينا محضرون ، وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا .

ف «لمّا» على رأي المرادي وابن هشام تكون بمعنى «الا» الاستثنائية بعد قسم الطلب ، وبعد «إنْ» النافية .

ولمعرفة آراء النحويين واللغويين الأقدمين قمنا بجولة في أُمات المصادر لنرى موقفهم من الاستثناء بـ «لمّا» ، فها هو ذا سيبويه (ت ١٨٠هـ) يقول (٩):

---

(٣) من رسالة لعمر بن الخطاب الى ابي موسى الأشعري في تعنيف كاتبه لما لحن، (شرح الرضي على الكافية ٢٥١/١) .

(٤) البيت مجهول القائل .

(٥) هو عاصم بن بهدلة ابن ابي النجود ، أحد القراء السبعة ، تابعي ، أخذ القراءة عن ابي عبدالرحمن السلمي وابي عمرو الشيباني (ت١٢٧هـ) . (غاية النهاية في طبقات القراء : ٣٤٨/١).

(٦) عن سليمان الأعمش ، (ت ١٥٠هـ). (غاية النهاية في طبقات القراء: ٢٦١/١) .

(٧) يسن: الأية٣٢ . قرأ عاصم وحمزة بتشديد «لما» وخفف الباقون . (الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢١٥/٢) .

(٨) الزخرف: الأية٣٥ . قرأ عاصم وحمزة «لما» مشددة وقرأ الباقون «لما» مخففة . (السبعة في القراءات : ٥٨٦) .

(٩) الكتاب: ١٠٥/٣ — ١٠٦ .

«وسألتُ الخليل عن قولهم : اقسمت عليك الاّ فعلت ، ولمّا فعلت ، لم جاز في هذا الموضع وإنما اقسمت ههنا كقولك : والله ، فقال : وجه الكلام لتفعلن ههنا ولكنهم اجازوا هذا لانهم شبهوه بنشدتك الله إذْ كان فيه معنى الطلب» .

فسيبويه يسأل شيخه عن عدم إتيان العرب بفعل مضارع مؤكد باللام في اوله وبنون التوكيد في آخره كما هو شأنهم في كل قسم موجب ، ولذلك اجابه الخليل بقوله : وجه الكلام لتفعلن ، وهذا لا يعنينا كثيراً ، انما الذي يعنينا قولُ سيبويه : «وسألت الخليل عن قولهم : اقسمت عليك إلا فعلت ولما فعلت» وقد قرن فيه «لما» بـ «الا» وجعلهما بمعنى واحد ، وهذه اشارة من سيبويه إلى أن «لما» بمعنى إلا ، ويعنيا ايضاً قول الخليل : ولكنهم اجازوا هذا لانهم شبهوه بنشدتك الله إذ كان فيه معنى الطلب ، وهذا نص صريح من الخليل على ان «لما» تكون بمعنى إلا بعد قسم الطلب .

وانكر الكسائي (ت ١٨٩هـ) ان تكون «لما» بمعنى إلا ، وكان يقرأ قوله تعالى : «وإنْ كل لما جميع لدينا محضرون» (١٠) بتخفيف لما ، ولا يشدد الميم وكان يقول : لا اعرف جهة «لما» بالتشديد في القراءة (١١) .

وانكر الفراء (ت ٢٠٧هـ) ان تكون لمّا بمعنى إلا فقال (١٢) : واما من جعل لما بمنزلة إلا فإنه وجه لا نعرفه ، وقد قالت العرب : بالله لما قمت عنا ، وإلا قمت عنا ، فأما في الاستثناء فلم يقولوه في شعر ولا في غيره ، الا ترى ان ذلك لو جاز لسمعت في الكلام : ذهب الناس لما زيداً» . فهو هنا

---

(١٠) يس: الآية ٣٢ .
(١١) معاني القرآن للفراء: ٣٧٦/٢ ، وينظر البحر المحيط: ٣٣٤/٧ .
(١٢) معاني القرآن: ٣٧٦/٢ – ٣٧٧ .

لا يجيز ان تكون «لما» بمعنى الا ، إلا بعد قسم الطلب . وذكر في موضع آخر أن لما تكون بمنزلة إلا مع إنْ خاصة فتكون في مذهبها ، كأنها لمْ ضمت اليها «ما» فصارتا جميعاً استثناءً وخرجتا من حد الجحد (١٣) .

ومعنى هذا ان الفراء يجيز ايضاً ان تكون «لما» بمعنى إلا بعد قسم الطلب بعد إن النافية وإن بدا لنا انه متردد في قبوله استثنائيتها ، وهذا ما سنفصله فيما بعد .

وتردد الاخفش (ت ٢١٥هـ) في قبول لما بمعنى إلا ، قال (١٤) : قرأ بعضهم«لمّا» ففتح اللام وضعف الميم وزعم انها إلا وانها من كلام العرب». ان قول الأخفش : وزعم بعضهم انها إلا وانها من كلام العرب يوحي بترددده .

وذهب المازني (ت ٢٢٥هـ) فيما حكى عنه ابو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) إلى ان الأصل (لما) بالتخفيف فثقلت (١٥) ،فهو ينكر ان تكون لما استثنائية وانما هي لما، ولم تبين لنا المصادر رأيه في «ما» اهي الموصولة ام الزائدة .

واجاز الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) ان تكون لما بمعنى إلا مطلقاً وزعم انه يقال : لم يأت من القوم لما اخوك ولم ارَ من القوم لما زيداً بمعنى الا اخوك وإلا زيداً (١٦) ، ولم يجوز احد الاستثناء بها مطلقاً إلا الزجاج .

وأجاز ابو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، ان تكون لما بمعنى إلا بعد إنْ النافية واستدل على ذلك بقراءة عبدالله بن مسعود (إن كلٌّهم لما كذب الرسل) (١٧) وهي في قراءة الجمهور : (إن كل إلا كذب الرسل) (١٨)،

(١٣) نفسه: ٢/٣٧٦ – ٣٧٧
(١٤) معاني القرآن للأخفش : ٢/٤٧٣
(١٥) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات : ٣٨٣ .
(١٦) البغداديات :٣٨٨ ، وينظر الهمع: ١/٢٣٦ .
(١٧) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه :١٢٩ .
(١٨) ص: الأية ١٤

فلما في قراءة ابن مسعود تعادل إلا في قراءة الجمهور وكذلك اجاز ان تكون بمعنى إلا بعد قسم الطلب (١٩) .

وقبل ابو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ورود لما بمعنى إلا فقال : «وأما ما حكوه من كون لما بمعنى إلا فمقبول»(٢٠)واشترط ان تَقع بعد قسم الطلب او بعد إن النافية .

وانكر ابو حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) كون «لما» أستثنائية فقال : «وقَـوْلُ من قال لما بمعنى إلا فليس يعرف في اللغة» (٢١) .

وذهب الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في مفصله وتابعه أبن يعيش (ت ٦٤٨هـ شارح المفصل الى أنّ «لما» في حديث عمر «رض» عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطاً بمعنى إلا (٢٢) .

وأنكر أبو البركات آبن الانباري (ت ٥٧٧هـ) أن تكون لما بمعنى إلا بعد إن النافية ، لكنه أجاز مجيئها بمعنى لما بعد قسم الطلب فقال . ««وأما لما فلا يجوز أن تجعل ههنا (يقصد بعد إن النافية) بمعنى إلا لانه لو جاز أن تجعل لما بمعنى إلا لجاز أن يقال: ماقام القوم إلا زيداً وقام القوم لما زيداً بمعنى إلا زيداً ، وفي امتناع ذلك دليل على فساده وانما جاءت لما بمعنى إلا في الايمان خاصة نحو قولهم: عمرك الله لما فعلت كذا،أي إلا فعلت كذا (٢٣)

وأجاز الرضي (ت ٦٨٨هـ) ، أن تكون بمعنى إلا ، إذا تقدمها قسم الطلب نحو أنشدتك بالله إلا فعلت ، ووضح معنى هذا الأسلوب فقال :«ومعنى إلا

---

(١٩) تهذيب اللغة: ٤٢٦/١٥ .
(٢٠) البغداديات: ٣٨٨ .
(٢١) تاج اللغة وصحاح العربية : ٢٠٣٣/٥
(٢٢) شرح آبن يعيش على المفصل: ٥٩/٢ .
(٢٣) الأنصاف في مسائل الخلاف: ١٩٥/١ .

فعلت : إلا فعلك .. لانك إذا حلّفت غيرك بالله قسم الطلب فقد ضيقت عليه الأمر في فعل مطلوبك فكأنك قلت : ماأطلب منك الا فعلك ، وانما جعلته فعلاً ماضياً لقصد المبالغة في الطلب حتى كأن المخاطب فعَلَ ماتطلبه وصار ماضياً ثم أنت تخبر عنه ، ولما في الاستثناء لاتجيء إلا بعد النفي ظاهراً أو مقدراً ، كما رأيت ، ولا تجيء إلا في المفرغ» (٢٤) .

فالرضي يجيز أن تكون لما بمعنى إلا بعد قسم الطلب ، ولا تقع إلا في استثناء مفرغ ،وهو مالم يذكر فيه المستثنى منه ، وعلى هذا فلا يجوز عنده أن يقال : حضر القوم لما زيداً .

وذهب أبو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) الى أن لما ترد بمعنى إلا ، وقال. «ولما بمعنى إلا حكاها الخليل وسيبويه والكسائي (٢٥)، وهي قليلة الدور في كلام العرب فينبغي أن يقتصر فيها على التركيب الذي وقعت فيه نحو قوله تعالى: «إن كل نفس لما عليها حافظ» (٢٦) «إن كل لما جميع لدينا محضرون في قراءة من شدد الميم وقالت العرب : نشدتك بالله لما فعلت ، وعمرك الله لما فعلت ، وقد يحذف نشدتك وسألتك فيقال : بالله لما صنعت كذا ، أي نشدتك الله إلا صنعت» (٢٧) .

فأبو حيان يجيز أن تكون لما بمعنى إلا بعد قسم الطلب وبعد إن النافية ، ولا يجيز استعمالها بهذا المعنى في غير هذين الموضعين ، لم يقبل رأي الزجاج

---

(٢٤) شرح الرضي على الكافية: ١/٢٣٠ – ٢٣١ .
(٢٥) وهذا من تناقضات ابي حيان، لا نه ذكر في البحر المحيط: ٧/٣٣٤ ان الكسائي ينكر ان تكون لما بمعنى الا ، وطالب بأن لا يلتفت الى رأيه .
(٢٦) الطارق: الأية ٤ .
(٢٧) ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٢/٣٣٢ .

في جواز استعمالها كـ «إلا» مطلقاً وقال : «وينبغي أن يتوقف في إجازة مثل هذه التراكيب حتى تثبت» (٢٨)

وهكذا يتبين لنا أن علماء اللغة منقسمون على أنفسهم في جواز الاستثناء بـ«لما» فهم يكادون يجمعون على أنها بمعنى ألا بعد قسم الطلب واختلفوا في كونها بهذا المعنى بعد إن النافية ، فلم ترد اشارة إلى ذلك عن الخليل وسيبويه ، وانكرها الكسائي والمازني والجوهري وابو البركات ابن الانباري وتردد الفراء والاخفش وتابعهما ابو علي الفارسي ، وقبلها الزجاج وابو منصور الازهري في التهذيب ، وابو حيان في الارتشاف .

ويلاحظ ان الذين قبلوا بورود « لما » بمعنى « إلا » في الاستثناء قلة لايملكون من الشواهد الشعرية إلا شاهداً واحداً مجهول القائل (٢٩) فلم إذن قبل بعض النحاة كونها استثنائية ؟

للاجابة عن هذا التساؤل نقول : إن هناك آيات قرآنية كريمة وردت فيها «لما» ، وتخريجها على معنى إلا مناسب جداً ، وهذه الايات هي :

١ — «إنْ كلُّ نفس لما عليها حافظ» (٣٠)

٢ — «وإن كل لما جميع لدينا محضرون» (٣١)

٣ — «وإن كلُّ ذلك لما متاع الحياة الدنيا» (٣٢)

وقرأ عبدالله بن مسعود ، قوله تعالى :

---

(٢٨) المصدر نفسه: ٣٣٢/٢ .

(٢٩) وهو :قالت له بالله ياذا البردين لما غنثت نفساً او اثنين

(٣٠) الطارق: الأية٤ .

(٣١) يس: الأية ٣٢ .

(٣٢) الزخرف: الأية ٣٥ .

«إن كل إلا كذب الرسل» (٣٣) : «إن كل لما كذب الرسل» (٣٤) «وما منا إلا له مقام معلوم» (٣٥) : «وإن كلنا لمّا له مقام معلوم » (٣٦) فهذه الايات قرأت «لما» فيها مخففة ومشددة ، فأما من خفف فلا اشكال في قراءته ، لأن «إنْ» عنده مخففة من الثقيلة ، واللام التي في لما ، هي اللام الفارقة ، وما زائدة ، والتقدير : إن كل نفس لعليها حافظ .

«اما من شدد «لمّا» فاختلف الناسُ في معناها ، ولنتابع الآن آراء المفسرين واصحاب إعراب القرآن في لما المشددة هذه ، ونبدأ بالفراء وهو يفسر قوله تعالى : «وإن كل لما جميع لدينا محضرون» (٣٧) قال : «شددها الاعشى وعاصم ، وقد خففها قوم كثير منهم قراء أهل المدينة ، وبلغني ان عليـاً خففها وهو الوجه ... ولم يثقلها من ثقلها الا عن صواب ، فإن شئـت أردت : وإن كل لمن ماجميع لدينا محضرون ، ثم حذفت إحدى الميمات لكثرتهن والوجه الآخر من التثقيل أن يجعلوا لما بمنزلة إلا مع إنْ خاصة فتكون في مذهبها كأنها لم ضمت اليها «ما»فصارتا جميعاً استثناءً وخرجتا من حد الجحد» (٣٨) . وعند تفسيره قوله تعالى: «إن كل نفس لما عليها حافظ» قال : «قرأها العوام (يعني الجمهور) بتشديد الميم وخففها بعضهم ، الكسائي كان يخففها ،ولا نعرف جهة التثقيل ونرى انها لغة في هذيل يجعلون

---

(٣٣) ص: الأية ١٤ .
(٣٤) قال الفراء: «قوله تعالى»: «ان كل الإكذب الرسل» في قراءة عبدالله: ان كلهم لما كذب الرسل» (معاني القرآن: ٢/٤٠٠) .
(٣٥) الصافات: ١٦٤ .
(٣٦) معاني القرآن: ٢/٣٩٥ .
(٣٧) يس: الأية ٣٢ .
(٣٨) معاني القرآن: ٢/٣٧٦ – ٣٧٧ .

«إلاّ» مع «إنّ» المخففة «لَما» ولا يجاوزون في ذلك ، كأنه قال : «ما كل نفس إلا عليها جافظ» (٣٩) .

وقد رأينا فيما سبق أن الفراء مقر بأن لما تكون بمعنى إلا بعد قسم الطلب أما كونها بمعنى إلا بعد إن النافية ، فلا يعرف جهته ويظن انها لهجة هذلية تجعل لما بعد إن النافية بمعنى إلا ، ويبدو أنه لم يطمئن الى هذه اللهجة ، ولهذا حاول أن يجد لـ «لما» تخريجاً آخر لاتكون به آستثنائية مما يشير الى تردده في قبولها بمعنى إلا .

وتابع الفراءَ في تردده الأخفش ، وقد مر بنا قوله : وزعموا أنها — لما في التفسير بمعنى إلا وأنها من كلام العرب (٤٠) .

وذهب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) إلى أنها بمعنى إلاّ وانها لغة هذيل مع إن النافية (٤١) .

وخرجها ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) على أنها بمعنى إلا أو أنها أصلها لمن ما، متابعاً بذلك الفراء (٤٢) .

وقبل أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) أن تكون بمعنى إلا ، ولكنه لم يرض ان يكون اصلها لمن ما ، مخالفاً بذلك الفراء ، لان «ما» إما ان تكون موصولة وإما أن تكون زائدة فلا يسهل ان تكون موصولة في قوله تعالى : «وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون» لأن التقدير يكون : لمن الذين هم جميع لدينا محضرون ، فهم جميع لدينا صلة للذين ، والذين مع صلته بمنزلة اسم واحد ،

(٣٩) معاني القرآن: ٣/٢٥٤ — ٢٥٥ .
(٤٠) ينظر ص: ٥ من هذا البحث
(٤١) تأويل مشكل القرآن : ٤١٣ .
(٤٢) اعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٤١ — ٤٢ ، وينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٣٢١ .

ومحضرون خبر «ما» الذي بمعنى الذي ، والاسم وخبره صلة مَنْ ، فلم يرجع على «مَنْ» من صلته شيء وهذا لا يجوز . ولا يجوز ان يكون اصل «لما» لمن ما في قوله تعالى «وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا» (٤٣) لانك لو قدرت ما زائدة كان المعنى وزخرفاً وإن كل ذلك لمن متاع الحياة الدنيا ، والزخرف لا يكون متاع الحياة الدنيا ، فهذا قول مستكره لانكساره وتجويز مالا يجوز فيه (٤٤) .

ولم يرضَ رأي المازني لأن الحروف يخفف مضاعفها كإنْ وأنْ ولكنْ ونحو ذلك ولا تثقل (٤٥) .

وبعد ان ضعف رأي الفراء والمازني جاء برأي جديد وادعى انه لم يسبقه احد اليه فقال «وقد رأينا نحن في ذلك قولاً لم اعلم احداً تقدمنا فيه وهو أن تكون لما هذه في قول من شدد لم النافية دخلت عليها ما فهيأتها للدخول على ما كان يمتنع دخولها عليها قبل لحاق ما لها والتقدير (إن كل نفس لما عليها حافظ) أي ليس كل نفس ليس عليها حافظ نفياً لقول من قال : كل نفس ليس عليها حافظ ، فقيل : ما كل نفس ليس عليها حافظ ، أي كل نفس عليها حافظ » (٤٦) فإن على هذا التقدير هي إن النافية ، والقراءة بالتثقيل تطابق القراءة بالتخفيف لأن المعنى يؤول إلى كل نفس عليها حافظ (٤٧) .

وهكذا نرى أن أبا علي قد حاول تفنيد رأي الفراء معتمداً على المنطق فلما لم يعد ضمير إلى الموصول ابطل ان تكون ما موصولة ، وعندما دخلت كلمة

---

(٤٣) الزخرف : ٣٥
(٤٤) البغداديات : ٣٨٤ – ٣٨٥ ، وأنظر اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/٧٥٥ – ٧٥٨
(٤٥) البغداديات : ٣٨٨ .
(٤٦) البغداديات : ٣٨٨ .
(٤٧) البغداديات : ٣٨٩ .

الزخرف في المتاع ابطل ان تكون ما زائدة ، واتجه إلى رأي جديد وهو أن تكون لما أصلها لم زيدت عليها ما الكافة ، ولهذا جاز دخولها على الاسماء، وانها أبطلت النفي فعاد الكلام إلى الاثبات ، وهذا جميل فيه حل لمشكلة إلا، ولكن التقديرات التي قدرها ابو علي كانت بعيدة وقد اعترف هو نفسه بهذا البعد وقال : والقراءة بتخفيف لما اسهل مأخذاً وأبعد تناولا» (٤٨) .

وذهب مكي ابن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ) إلى أن «لما» ترد بمعنى «إلا» بشرط أن تكون إنْ نافية (٤٩) ، وهذا شأن الزمخشري (ت ٥٣٨هـ (٥٠) والعكبري (ت ٦١٦هـ) (٥١) وقال الرازي (ت ٦٠٦هـ) : «ولما بمعنى إلا وارد مناسب وهو أن «لمّا» كأنها حرفا نفي وهما «لم» و «ما» فتأكد النفي، وإلا كأنها حرفا نفي إنْ ولا ، فاستعمل أحدهما مكان الآخر» (٥٢) .

وهاجم ابو حيّان (ت ٧٤٥هـ) من انكر أن تكون «لما» بمعنى «إلا» فقال : «ولما المشددة بمعنى إلا ثابت في لسان العرب بنقل الثقاة فلا يلتفت إلى زعم الكسائي انه لا يعرف ذلك» (٥٣) . ورفض قول الفراء بأن اصلها لمن ما ، وقال : إنه : «ليس بشيء» (٥٤) .

ومما تقدم يتبين لنا أن الذين ذهبوا إلى انها بمعنى إلا في الآيات الكريمة هم ابن قتيبة وابن خالويه ومكي ابن أبي طالب والزمخشري والعكبري والرازي وأبو حيان ، أما الفراء والاخفش وأبو علي الفارسي فهم مترددون في ذلك وإلا لما بحثوا لها عن تخريج .

---

(٤٨) البغداديات: ٣٨٩ .
(٤٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ٢/٢١٥ .
(٥٠) الكشاف: ٤/١٤، ٤/٧٣٤ .
(٥١) التبيان في اعراب القرآن: ٢/١٢٨١ .
(٥٢) التفسير الكبير : ٢٦/٦٤ — ٦٥ .
(٥٣) البحر المحيط: ٧/٣٣٤ .
(٥٤) البحر المحيط: ٧/٣٣٤ .

وقبل أن أنهي هذا البحث واستيفاءً له ، أود أن اشير إلى آية قرآنية كريمة لها تعلق وثيق ببحثنا وهي قوله تعالى: «وإنَّ كلاً لما ليوفينهم ربُّك اعمالهم» (٥٥) التي اختلف فيها القراء (٥٦) ، ويمكن تقسيمهم على اربعة أقسام (٥٧) :

القسم الأول : قرأ «إنَّ» مشددة النون و «لما» خفيفة الميم ، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ، ومذهب الفراء أنها موصولة (٥٨) ، واستخدمت «ما» للعقلاء كما استخدمت في قوله تعالى : «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» (٥٩) ومذهب ابي علي كما يقول الرازي أنَّ اللام في «لمّا» هي لام التوكيد ، والتي في «ليوفينهم» هي لام القسم ، فلما اجتمع لامان دخلت «ما» لتفصل بينهما ، وعلى هذا ، «ما» زائدة (٦٠) ، والتقدير : «وإنَّ كلا لمّا والله ليوفينهم» .

القسم الثاني : قرأ : «وإن كلاً لما» بتخفيف «إنْ» وتخفيف «لما» وهي قراءة ابن كثير (٦١) ، ونافع (٦٢) ، فهم قد اعملوا «إنْ» مخففة

---

(٥٥) هود: الأية١١١ .

(٥٦) قرأ الحرميان وأبوبكر: « وإن كلا » بتخفيف إن والباقون بتشديدها وقرأ عاصم وحمزة وآبن عامر: «كما ليوفينهم» بتشديد الميم من لما والباقون بتخفيفه . (الكشف عن وجوه ، القراءات السبع ، لمكي آبن أبي طالب. : ٥٣٦/١) .

(٥٧) التفسير الكبير للرازي: ٦٩/١٨ — ٧٠ .

(٥٨) معاني القرآن: ٢٨/١ .

(٥٩) النساء: الاية٣ .

(٦٠) التفسير الكبير: ٦٩/١٨، ورأي أبي علي في البغداديات مخالف لهذا ، ومر ذكره في الصفحات : السابقة من هذا البحث .

(٦١) هو عبدالله بن كثير بن المطلب الداري ، امام اهل مكة في القراءة ، ولد بمكة سنة ٤٥هـ ولقي بها عبدالله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس ابن مالك (ت١٢٠هـ) . (غاية النهاية في طبقات القراء: ٤٤٣/١) .

(٦٢) هو نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم ، أحد القراء السبعة ، أخذ القراءة عن جماعة من التابعين والية أنتهت رئاسة القراءة في المدينة (ت١٦٩هـ) . (غاية النهاية في طبقات القراء ٣٣٠/٢) .

كما اعملوها مشددة لان «إنّ» تشبه الفعل ، فكما يجوز إعمال الفعل تاماً ومحذوفاً في قولك : لم يكن زيد قائماً ، ولم يك زيد قائماً ، فكذلك إنّ وإنْ .

وهذان القسمان لا يعنيان البحث في شيء لأن «لما» فيهما مخففة فلا يمكن تأويلها بـ «إلا» .

القسم الثالث : قرأ «وإنّ كلاً لما» بتشديد «إنّ» وتشديد «لمّا» وهي قراءة حمزة وابن عامر (٦٣) وحفص (٦٤) ، وهذا القسم لا يمكن ان تكون «لما» فيه بمعنى إلا ، لان «إنّ» لتوكيد الشيء وتخفيفه وإلا تفيد نقيض ذلك إذ يؤتى بها لإخراج شيء من حكم سابق ، فيتدافع معنى التأكيد ومعنى «لما» (٦٥). وأحسن ما قيل في «لما» في هذا الموضع أن اصلها «لماً» بالتنوين كقوله تعالى : «أكلاً لمّاً» (٦٦) والمعنى : إنّ كلاً ملمومين ، أي مجموعين (٦٧)، وقرأ الزهري (٦٨) : «وإنْ كلاً لمّاً» بتنوين «لمّاً» (٦٩) .

القسم الرابع — قرأ : «وإنّ كلاً لمّا» بتخفيف «إنْ» وتشديد «لمّا» وهذا يحتمل أن تكون فيه «لمّا» بمعنى «إلا» ويعيق هذا التقدير أنّ كلمة «كلاً» جاءت منصوبة ، والناصب لها «إنْ» المخففة من الثقيلة ، فعلى هذا لا يجوز

---

(٦٣) هو عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي ، امام أهل الشام في القراءة أخذ القراءة عن ابي الدرداء ولد سنة ٨ هـ وتوفي سنة ١١٨هـ (غاية النهاية في طبقات القراء: ١/٤٢٥) .

(٦٤) هو حفص بن سليمان بن المغيرة ، أخذ القراءة عن عاصم ، ولد سنة ٩٠هـ وتوفي سنة ١٨٠هـ (غاية النهاية في طبقات القراء: ١/٢٥٥) .

(٦٥) جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٥/٤٩٦ .

(٦٦) الفجر: الآية ١٩ .

(٦٧) التفسير الكبير : ١٨/٧٠

(٦٨) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري المدني ، تابعي ، قرأ على أنس آبن مالك ولد سنة ٥٠هـ وتوفي سنة ١٢٤هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء: ١/٣١٢) .

(٦٩) معاني القرآن: ١/٢٨، وينظر مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه : ٦١ .

أن تكون «لمّا» بمعنى «إلا» بعد «إنْ» المخففة لانها تفيد التأكيد أيضاً ، ولو عددنا «إنْ» نافية لما استقام اللفظ ، لأن كلمة «كلاً» تبقى بلا ناصب، وهذا لا يجوز ، ورب قائل يقول : تنصب «كلاً» بالفعل «ليوفينهم» قلنا : هذا لا يجوز لأن ما بعد لام القسم لا يعمل فيما قبلها ، وتخرَّج هذه القراءة على أنَّ اصل «لمّا» «لمن ما» فأبدلت النون ميماً ، ثم حذفت إحدى الميمات لكثرتهن ، فأصبح «لمّا» بالتشديد (٧٠) .

وجوَّز ابو حيان أن تكون لما في هذه الآية بمعنى «إلاّ» واستشهد على ذلك بقراءة أبي (٧١) وأبان بن تغلب (٧٢) ، «وإن كل لما ليوفينهم» (٧٣) وقال (٧٤): «إن هذه القراءة المتواترة حجة عليهم» .

وهكذا نرى أن النحويين وعلماء اللغة لا يقبلون ان تكون «لما» في هذه القراءة بمعنى إلا ، لاسباب تتطلبها صناعة النحو ، وهي أن كلمة كلاً جاءت منصوبة ، فقالوا : أنها منصوبة بـ «إنْ» فهي مخففة وليست النافية ولما التي بمعنى إلا لا تقع بعد إنْ المخففة .

والذي نراه أنَّ لما هنا بمعنى «إلا» مستدلين على ذلك بقراءة عبدالله بن مسعود (٧٥) للآية نفسها فهو قد قرأها : «وإنّ كل إلا ليوفينهم ربك

---

(٧٠) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ١٩١ ، وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ابن ابي طالب : ٥٣٦/١ .

(٧١) هو ابي بن كعب بن قيس الأنصاري ، قرأ على النبي (ص) القرآن العظيم ، آختلف في وفاته فقيل سنة١٩هـ ، وقيل سنة ٢٠هـ ، وقيل سنة ٣٠هـ (غاية النهاية في طبقات القراء : ٣١/١) .

(٧٢) هو ابان بن تغلب الربعي الكوفي النحوي ، قرأ على عاصم وابي عمرو الشيباني ختم القرآن على الأعمش ، ت سنة ١٤١هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء : ٤/١) .

(٧٣) لم يذكرها أبن خالويه في مختصر شواذ القراءات ، وكذلك لم يذكرها أبن جني في المحتسب

(٧٤) البحر المحيط: ٢٦٨/٥ .

(٧٥) هوعبدالله بن مسعود بن الحارث ، عرض القرآن على النبي (ص) ، وكان يخدم النبي (ص) ويلزمه ت ٣٢هـ (غاية النهاية: ٤٥٩/١) .

أعمالهم» (٧٦)فأبدل كلمة «لما» بكلمة «إلا» وهذا يدل على أن الكلمتين في معنى واحد ، ولو لم تكن الكلمتان في معنى واحد لما أجازه الرسول الكريم «ص» على هذه القراءة .

وقد تبين لنا أن ابن مسعود يُسوي بين «لما» و إلا في المعنى في قراءته فكما أبدل «لما» بـ «إلا» نجده يفعل العكس ، فيبدل «إلا» بـ «لما» في آيتين كريمتين هما : «إنْ كل إلا كذّب الرسل» (٧٧) «وما منا إلا له مقام معلوم» (٧٨) قرأهما : «إنْ كلهم لما كذب الرسل» (٧٩) «وإن كلنا لما له مقام معلوم» (٨٠) فأبدل إلا بـ «لما» .

إن هذه القراءات المتواترة عن رسول الله (ص) خير دليل على أنّ «لما» بمعنى إلا في هذه الاية وفي الايات القرآنية السابقة ، أما إذا تعارض هذا المعنى مع صناعة النحو ، فمن الأفضل للنحاة أن يجدوا لهم مخرجاً آخر ، لا أن يذهبوا إلى مخالفة القراءة وهي سنة متبعة .

* * *

(٧٦) المحتسب : ٣٢٨ .
(٧٧) ص : الأية ١٤ .
(٧٨) الصافات : الأية ١٦٤ .
(٧٩) مختصر شواذ القراءات : ١٢٩ .
(٨٠) المصدر نفسه : ١٢٨ .

خاتمة البحث

أظهر البحث ما يأتي :

١ ــ ان علماء اللغة والنحو يكادون يجمعون على أنّ «لما» ترد بمعنى «إلاّ» بعد قسم الطلب ، نحو : عزمت عليك بالله لمّا فعلت ، أي عزمت عليك إلا فعلت .

٢ ــ وأنهم مختلفون في كونها بهذا المعنى بعد «إنْ» النافية ، فلم ترد إشارة من الخليل وسيبويه بهذا الخصوص ، وأنكرها الكسائي والمازني والجوهري وأبو البركات ابن الانباري وتردد الفراء والأخفش وتبعهما أبو علي الفارسي ، وقبلها أبو منصور الازهري وأبو حيان الاندلسي .

٣ ــ وأنّ الزجاجي هو الوحيد الذي قبل أن تكون «لمّا» بمعنى إلا مطلقاً ، فجاز عنده حضر القوم لمّا زيداً ، بمعنى : إلا زيداً .

٤ ــ وأنّ سبب ذهاب بعض النحويين والمفسرين إلى أنها بمعنى «إلاّ» بعد «إنْ» النافية هو ورودها في الآيات القرآنية الكريمة : «إن كل نفس لمّا عليها حافظ» «وإنْ كل لمّا جميع لدينا محضرون» «وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا» بهذا المعنى ، وتخريجها عليه اقرب من التخريجات الأخرى ، فارتضاها ابن قتيبة وابن خالويه ومكي بن أبي طالب والزمخشري والعكبري والرازي وأبو حيان وأنكرها الكسائي وتردد الفراء والأخفش وتبعهما أبو علي الفارسي .

٥ ــ وأن النحاة والمفسرين مترددون في قبولها بمعنى «إلا» في قوله تعالى : «وإنْ كلاً لما ليوفينهم ربك اعمالهم» لأسباب تتعلق بصناعة النحو ، وقد

قبل أبو حيان أن تكون بمعنى «إلا» أيضاً في هذه الآية ، معتمداً على قراءة ابن مسعود «وإنْ كل إلا ليوفينهم ربك أعمالهم» .

٦ ــ وأنّ ابن مسعود يبدل بين «لمّا» و «إلا» بعد إن النافية في قراءته ، الأمر الذي يشير إلى انهما بمعنى واحد .

وهكذا نرى أن «لما» ترد بمعنى «إلا» في هذين الموضعين ولا تجاوزهما لذلك ينبغي الاقتصار عليها فلا تستعمل «لما» بمعنى «الا» مطلقاً، لأن ذلك لم يرد به السماع ، وكون «لما» بمعنى «إلا» في هذين الموضعين فقط لا يقدح باستثنائيتها لان العرب قد قصرتها عليهما .

* * *

المصادر

١ — إرتشاف الضرب من لسان العرب — أبو حيان الاندلسي ، تحقيق الدكتور مصطفى احمد النمّاس ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٧م .

٢ — اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم — ابن خالويه ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٠هـ — ١٩٤١م .

٣ — اعراب القرآن — منسوب للزجاج ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، مطبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م .

٤ — الانصاف في مسائل الخلاف — ابو البركات ابن الانباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط ٤ ، المكتبة التجارية ، مصر ، ١٣٨٠هـ — ١٩٦١م .

٥ — البحر المحيط — أبو حيّان الاندلسي ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٨هـ.

٦ — تأويل مشكل القرآن — ابن قتيبة ، تحقيق احمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٧ — تاج اللغة وصحاح العربية — اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر .

٨ — التبيان في اعراب القرآن — ابو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، تحقيق علي محمد البجّاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٩ — تهذيب اللغة — أبو منصور محمد بن احمد الازهري ، تحقيق الاستاذ ابراهيم الأبياري ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م .

١٠ ــ التفسير الكبير ــ الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران .
١١ ــ جامع البيان عن تأويل القرآن ــ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠م .
١٢ ــ الجنى الداني في حروف المعاني ــ حسن بن قاسم المرادي ، تحقيق طه محسن ،مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٣٩٦ ، ١٩٧٦م .
١٣ ــ الحجة في القراءات السبع ــ ابن خالويه ، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م .
١٤ ــ السبعة في القراءات ــ ابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ١٤٠٠هـ .
١٥ ــ شرح الرضي على الكافية ــ رضي الدين الاستربادي، استانبول ١٢٧٥هـ.
١٦ ــ شرح شواهد المغني ــ جلال الدين السيوطي ، صححه وعلق عليه الشيخ محمد محمود السنقيطي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
١٧ ــ شرح المفصل ــ موفق الدين يعيش بن يعيش ، عالم الكتب ،بيروت .
١٨ ــ غاية النهاية في طبقات القراء ــ ابن الجزري ، عني بنشره براجستراسر القاهرة ١٣٥٢هـ ــ ١٩٣٣م .
١٩ ــ الكتاب ــ سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
٢٠ ــ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢١ — الكشف عن وجوه القراءات السبع — مكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق الدكتور محيي‌الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م .

٢٢ — المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها — ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٢٣ — مختصر في شواذ القراءات ، من كتاب البديع لابن خالويه — عني بنشره برجشتراسر ، دار الهجرة .

٢٤ — المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات — ابو علي النحوي ، تحقيق صلاح‌الدين عبدالله السنكاوي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٣م .

٢٥ — معاني القرآن — الفرّاء ، ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠م .

٢٦ — معاني القرآن — الاخفش الأوسط ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، ط ٢ الكويت ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .

٢٧ — مغني اللبيب عن كتب الاعاريب — ابن هشام الانصاري ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد .